جهود المرأة الأندلسيّة
في تعليم القرآن الكريم وقراءاته ونسخه

د. خالد سليمان الخلفات

ملخـــص:

تهدف هذه الدراسة إلى الوقوف على دور المرأة الأندلسيّة وجهودها في تعلّم العلوم القرآنيّة من حفظ وتفسير ومعرفة القراءات القرآنيّة المشهورة وغير المشهورة وتعليمها لطالبات العلم في الأندلس ليبقى القرآن الكريم محفوظا بقراءاته المتعددة في ذاكرة الأندلسيّات المتلقيات لها ليستمر تعلمها من جيل إلى جيل كذلك الوقوف على دورها في إتقان مهارة الخطّ العربيّ وتوظيف هذه المهارة في نسخ القرآن الكريم ليكون بين يدي المسلمين في المساجد ودور العلم.

Abstract:

This study aims at introducing the role of the Andalusian woman in learning the sciences of the holy Quran such as keeping it by heart and illustration as well as the famous and non famous various recitations. The Andalusian woman did their best in teaching their students these sciences to be retained in the memories of the Andalusian and hand these sciences from generation to another. Besides they had a great role in masteing Arabic handwriting which they used in writing the Holy Quran to be available in the hands of Muslims in Mosques and houses of sciences.

مقدمـــة :

حرص الأندلسيّون على تلقي العلم والسعي في طلبه سواء كانت العلوم الدينية أو العلوم اللغوية أو الأدبية و سائر العلوم الأخرى. وكان الأندلسيّ أكثر حرصا على أن يتلقى أفراد أسرته هذه العلوم وخاصة العلوم الدينية وعلى رأسها القران الكريم وحفظه وتلاوته ولم يقتصر هذا على الأبناء بل كانت البنات يتلقين هذه العلوم المختلفة وبدعم من الأسرة وذلك لمعرفة أمور دينها.

ومنذ أن دخل المسلمون الأندلس بدأت حركة ثقافية علمية وازداد ازدهارها عند دخول عبد الرحمن الداخل إلى الأندلس، وإقامته الإمارة الأموية فيها عام ١٣٨هـ. فازدهرت الحركة العلمية وخاصة بعد بناء مسجد قرطبة الذي كان له دور كبير في التعليم والتدريس،فهو"النواة الحقيقية للجامعة الأندلسيّة التي أسست في تلك الفترة"[١] وتطورت تطورا كبيرا حين صارت هذه الإمارة الأندلسيّة مملكة، وبلغت الأندلس أوج ازدهارها العلمي والحضاري في عهد الملك عبد الرحمن الناصر.الذي اهتم بالحركة العلمية، فاستقطب العلماء والأدباء والشعراء والكتّاب وأسس المكتبات وجمع لها الكتب في سائر العلوم من المشرق والمغرب، وكثرت المكتبات العامة وكذلك المكتبات الخاصة في بيوت العلماء والأدباء وعامة الناس، كما انعقدت مجالس العلم والأدب في قصره، وعقدت حلقات العلوم

[١]) د. هيكل، أحمد: الأدب الأندلسي من الفتح حتى سقوط الخلافـــة، دار المعـــارف، القـــاهرة، ط١٢،١٩٨٨م، ص٧٩.

المختلفة في مسجد قرطبة وغيره من المساجد في سائر بلاد الأندلس ومدنها، وانتشرت المدارس الابتدائية في الأندلس التي استطاعت أن " تستوعب جميع أفراد أمة الأندلس ولم يبق فيها مكان لأميّة أمّي بين المسلمين"[٢]

ولهذا نجد الأندلسيين ملوكا وأمراء ووجهاء وحتى العامة يحرصون على تعليم أبنائهم، ويعهدون ذلك إلى المعلمين والمؤدبين ممن عرفوا بحسن الخلق والأدب والصلاح والدين فكانوا يحفِّظونهم شيئا من القران الكريم واللغة والشعر الجميل، ثم يتلقون العلوم المختلفة على أيدي العلماء والفقهاء والمفسرين، فيحضرون حلقاتهم العلمية في المساجد ودور العلم، وكان مسجد قرطبة الجامعة التي ينهل منها أبناء الأندلس علومهم، وكان طلاب العلم يرتحلون من مدينة إلى مدينة للقاء العلماء، داخل الأندلس، ثم يرتحلون إلى المشرق، فيأخذون عن علمائه العلوم المختلفة، ويطلبون منهم الإجازات العلمية، ويعودون إلى الأندلس، وهم يحملون الكتب والتصانيف المشهورة.

أما البنات فكان الخلفاء والأمراء والوجهاء وعامة الأندلسيين يعهدون أمر تعليمهنّ إلى مربيات ومؤدبات مشهورات، يعلمنهنّ العلوم المختلفة، بدءا بعلوم القران الكريم وقراءاته ثم حفظه وتفسيره، ثم العلوم الدينية الأخرى الفقه والرواية وعلوم اللغة وحفظ الشعر، وكان الأندلسيّون يحرصون على تعليم بناتهم، كما هو حرصهم على تعليم الأبناء وخاصة علوم القرآنية. وقد أشار ابن الفرضي إلى (فخر المعلمة) التي كانت تمارس مهنة التعليم للبنات[٣]

ولهذا فإنّ بيوت المعلمين الذين يعلمون الفتيان العلوم المختلفة نجد فيها سائر أفراد الأسرة يمارسون مهنة التعليم والتربية والتأديب، فالزوجة تُعْنَى بتعليم بناتها؛ لتكون هذه معلمة أيضا، وهذه إحدى الطرق التي تتم بها عملية التعليم لكل أبناء الأسرة الأندلسيّة الكبيرة. وهي إشارة إلى انتشار حركة التعليم في الأندلس، وخاصة ظهور الأندلسيّات المعلمات والعالمات في سائر الفنون والعلوم وعلى رأسها علوم القرآن الكريم وقراءاته والخطّ أيضا، الذي حرصت الفتاة الأندلسيّة على تعلمه وذلك خدمة للعلم والكتابة وتحديدا كتابة القرآن الكريم ونسخه.

---

[٢] د.جودة هلال ومحمد محمود صبح: قرطبة في التاريخ الإسلامي،المؤسسة المصرية العامة، القاهرة، ١٩٦٢م، ص٨٧

[٣] انظر: ابن الفرضي، أبو الوليد عبدالله بن محمد(٤٠٢هـ)، تاريخ علماء الأندلس، القاهرة، ١٩٦٦م، ترجمة رقم ١٠٤٤، ص٣٥٣.

وقد أشار ابن حزم صاحب كتاب طوق الحمامة في الألفة والآلاف إلى دور النساء الأندلسيّات في التربية والتأديب والتعليم، فقد تربى في القصور، وتولت نساء القصر تربيته وتعليمه وتأديبه، فنجده يقول: "ولقد شاهدت النساء وعلمت من أسرارهن ما لا يكاد يعلمه غيري، ولا جالست الرجال إلا وأنا في حد الشباب، وحين تبقّل[٤] وجهي. وهنّ علّمنني القرآن، وروينني كثيرا من الأشعار، ودرّبنني على الخطّ"[٥] وبهذا نجد أن المرأة نالت تعليما لا يقل شأنا عن حظ الرجال من العلم، فبدأت حركة تعليمية قوية للنساء، فكل امرأة تلقت هذه العلوم صارت عالمة، بل شيخة من شيخات العلم- كما هم العلماء الشيوخ- لها حلقاتها العلمية في بيتها، فتأتي إليها النساء الأندلسيّات؛ لينهلْنَ ما عندها من علم، فانتقل العلم من جيل إلى جيل عند النساء وفقا لهذه الطريقة. وقد كان لتعليم المرأة في الأندلس أكثر من هدف لعل أهمها: معرفة أمور دينها، وحفظ القرآن الكريم والأدب والعلوم الأخرى، بالإضافة إلى هدف آخر هو أن تصبح " لطيفة محببة إلى النفوس ولترقية عقلها وتكوينها في الأدب عامة"[٦]

ونستنتج من ذلك ومما ورد في تراجم النساء والحديث عنهن في المصادر الأندلسيّة أن حصول المرأة الأندلسيّة على سائر العلوم اتخذ ثلاث طرق مشهورة هي[٧]:

الأولى: أن تتعلم الفتاة العلوم المختلفة على أيدي النساء القريبات داخل الأسرة، كالأم والأخت والخالة والعمة وغيرهن أو من محارمها من الرجال كأبيها أو أخيها أو زوجها أو غيرهم، فتتعلم العلوم الدينية، فتصبح عالمة تعلم النساء هذه العلوم في بيتها. وقد أشار أصحاب التراجم إلى عبارات تدل على ذلك منها: (أخذت عن أبيها أو عن زوجها أو عن خالها. ..إلخ).ونجد عبارات شبيهة بهذه، مثل عبارة (سمعت عن أبيها) وقد ذكر المقري ذلك في الحديث عن أم الهناء بنت القاضي أبي محمد عبد الحق بن عطية[٨]، وهذا القاضي هو صاحب كتاب مشهور

---

[٤]) تبقّل : أي ظهر شعر لحيته (انظر : لسان العرب مادة: بقل)

[٥]) انظر: طوق الحمامة في الألفة والآلاف، ابن حزم، علي بن أحمد(ت٤٥٦ه) تحقيق د. إحسان عباس، بيروت، المؤسسة العربيّة للدراسات والنشر، ١٩٩٣م، ص١٦٦)

[٦]) د. الطاهر أحمد مكي: دراسات أندلسية في الأدب والتاريخ والفلسفة، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٣م، ط٣، ص٨٠

[٧]) انظر حول هذه الطرق في العصر الموحدي كتاب: الحياة العلمية في الأندلس في عصر الموحدين، د. يوسف علي بن إبراهيم العريني، مطبوعات مكتبة الملك عبد العزيز العامة، ١٤١٦هـ/١٩٩٥م، ص١٤٩-١٥٠

[٨])انظر: المقري: نفح الطيب، ج٦ ص٧٢

في التفسير هو (المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز)[٩] وهذا يشير إلى أن أم الهناء قد تلقت علوم القرآن وتفسيره وقراءاته من والدها صاحب هذا الكتاب الذي صار مرجعا لكل من جاء بعده من المفسرين. كذلك نجد أن مسعدة بنت أبي الحسين أخذت وروت عن أبيها وأخيها وزوجها[١٠]

وقد تعلمت بهذه طائفة من النساء ، منهنّ أم السعد بنت عصام بن أحمد بن محمد القرطبية، وقد أورد ابن عبد الملك عبارة "روت عن أبيها وجدها وخاليها "[١١] وهي تشير إلى الطريقة التي تعلمت بها.

وممن تعلم بهذه الطريقة أيضا: ابنة فائز القرطبية زوج أبي عبدالله بن عتاب، التي أخذت عن أبيها فائز علم التفسير واللغة والعربيّة والشعر، وعن زوجها الفقه والرقائق[١٢]." وممن تعلّم بهذه الطريقة: أم العز بنت محمد بن علي بن أبي غالب العبدري، التي روت عن أبيها وزوجها وأخذت عنهم العلم والرواية.[١٣]

---

[٩])انظر: عصمت دندش: الأندلس في نهاية المرابطين ومستهل الموحدين، دار الغرب الإسلامي، بيروت،١٩٨٨، ط١، ص١٠٣

[١٠])انظر ترجمتها في : ابن الزبير، أبو جعفر العاصمي(ت٧٠٨هـ)،صلة الصلة، تحقيق : عبد السلام الهراس،وسعيد أعراب،وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية،، المملكة المغربية،١٤١٦هـ/١٩٩٥م،ق٥ص٣١٤

[١١]) انظر: ترجمتها في الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة – تأليف: أبي عبد الله محمد بن محمد بن عبد الملك الأنصاري الأوسي المراكشي(ت٧٠٣ه)، المجلد الخامس، السفر الثامن، حققه وعلق عليه:د. إحسان عباس، د. محمد بن شريفة،د. بشار عواد معروف – دار الغرب الإسلامي، تونس، الطبعة الأولى، ٢٠١٢م، ص٤١١، وانظر كذلك: التكملة ج٤ ص٢٦٤-٢٦٥ ترجمة رقم ٧٣٦.

[١٢]) التكملة لكتاب الصلة، ابن الآبار، أبي عبدالله محمد بن عبدالله بن أبي بكر القضاعي البلنسي(ت٦٥٨ه)، تحقيق: عبد السلام الهراس، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ١٩٩٥م، ج٤، ص٢٥١ حيث يشير إلى نتف من أخبارها في ترجمته لعتيق الأقوبية صاحبة الترجمة رقم ٧٠٠. وانظر: الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، المجلد الخامس، السفر الثامن، ص ٤٢٦، الذي يقول في ترجمتها:" ابنة فائز: قرطبية، زوج أبي عبد الله بن عتاب، ورحلت إلى دانية للقاء أبي عمرو المقرئ، وأخذت عنه [كذا]؛ فألفته مريضا من قرحة كانت سبب منيته، فحضرت جنازته ثم سألت عن أصحابه، فذكر لها أبو داوود بن نجاح، فلحقت به بعد وصوله إلى بلنسية، فَتَلَتْ عليه القرآن بالسبع في آخر أربع وأربعين وأربعمائة، وحجت وتوفيت بمصر تمام حجها قافلة إلى الأندلس، سنة ست وأربعين وأربعمائة "ويقول ابن الأبار في حرصها على ضبط القراءات القرآنية حينما التقت بأبي داود تلميذ أبي عمر الداني "قرأت عليه القرآن بالقراءات السبع وجوّدتها وضبطت عليه المصحف على القراءات السبع)، التكملة ج٤،ص٢٥١، ترجمة رقم٧٠٠.

[١٣]) وهي من مدينة دانية في شرق الأندلس،. روت عن أبيها، ومن مروياتها عنه: صحيح البخاري، قرأته عليه بلفظها مرتين، وروت عن زوجها أبي الحسن بن

وهناك نساء أندلسيات كثيرات تلقين العلم بهذه الطريقة وهي الطريقة الأنسب للنساء حتى لا تختلط بالعلماء الرجال من غير محارمها.

الثانية: أن تتلقى العلوم المختلفة من المرأة العالمة، التي أخذت العلم في بيتها عن أبيها أو أحد أفراد أسرتها، كما ذكرنا. وهي الطريقة الأكثر انتشارا؛ لكثرة المتعلمات اللواتي عند هذه العالمة أو تلك، ويكون التعليم من امرأة إلى امرأة. حتى لا تختلط بالرجال.

وممن تعلمن وعلمن بهذه الطريقة: أم مُعَفَّر، التي كانت قارئة للقرآن الكريم، وتعلمت قراءة ورش، وعلمتها لغيرها من النساء.[١٤].

والثالثة: أن تأخذ المرأة العلوم المختلفة عن الرجال العلماء من غير محارمها، وكان ذلك يتم من خلف ستار، والعالم يملي علومه على النساء ويستمع إلى أسئلتهن ويجيب عليها، ويمنح الإجازات العلمية لمن تطلبها كما سنرى في حديثنا عن هؤلاء النسوة العالمات والمتعلمات.

ومن النساء اللواتي تعلمن بهذه الطريقة : "أسماء بنت أبي داوود سليمان بن أبي القاسم نجاح مولى أمير المؤمنين هشام المؤيد بالله بن الحكم المستنصر بالله "[١٥]

وهناك من النساء الأندلسيّات من انقطعن لأحد العلماء لتأخذ عنه علومه سماعا منه ورواية عنه، وقراءة عليه ومن هؤلاء: أم الحسن بنت أبي لواء سليمان بن إصبغ بن عبدالله المكناسي، مولى سليمان بن عبد الملك، وهي من مدينة قرطبة يقول عنها ابن عبد الملك المراكشي: "روتْ عن بقيّ بن مخلَد سماعا منه وقراءة عليه

الزبير وأبي الطيب بن برنجال، وأبوي عبد الله: ابن أبي بكر وابن أيوب بن نوح، وأبي عمر بن عات. وكانت حافظة لكتاب الله قائمة عليه مجودة له بالسبع، وتوفيت ست عشرة وستمائة انظر: الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، المجلد الخامس، السفر الثامن ص٤١٢، وانظر ترجمتها في التكملة ج٤ص٢٦٣ ترجمة رقم ٧٣٢

[١٤]) يقول ابن عبد الملك المراكشي في ترجمتها: "أم معفر: إحدى حرم الأمير محمد بن سعد، أخذت عنها قراءة ورش أم العز بنت أحمد بن علي بن هذيل من مدينة بلنسية، وهي إحدى حرم الأمير محمد بن سعد، وبرعت في حفظ الأشعار والتمثل بها، وتوفيت بشاطبة إثر خروجها من حصار بلنسية في أحد شهري ربيع سنة: ست وثلاثين وستمائة. انظر: الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، المجلد الخامس، السفر الثامن، ص٤١٢.

[١٥]) وهي من بلنسية، أكثرت عن أبيها، وشاركته في بعض شيوخه، وهي التي زوَّجها من أحمد بن محرز، فتى كان يقرأ عليه، وكان فاضلا مقلّا؛ فأعجبه سمته، فقال له يوما: "أتحب أن أزوجك ابنتي؟" فخجل الفتى، وذكر حاجة تمنعه من ذلك، فزوجها منه، ونظر لها في دار، وزفها إليه. انظر: الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، المجلد الخامس، السفر الثامن، ص٤٠٧، وانظر ترجمتها في التكملة رقم ٧٠٥، ج٤، ص٢٥٤)

وصحبته، وكان لها منه يوم في الجمعة تنفرد به لأخذ العلم في داره.... "[١٦].

ويتجلى هنا حرص المرأة الأندلسيّة على استمرارية تلقيها العلم عن هذا العالم بشكل دوري وتأخذ الإجازات العلمية لتكون عالمة تدرِّس وتعلِّم. وكان هؤلاء العلماء يمثلون سائر العلوم الدينية من قراءات ورواية للحديث والتفسير والفقه وعلوم اللغة وبقية العلوم الأخرى.

وقد ارتحلت المرأة الأندلسيّة لطلب العلم من مدينة إلى مدينة في الأندلس، مع أحد محارمها كالأب أو الأخ، أو الزوج، أو غيرهم من المحارم، وذلك لتأخذ العلم والقراءات من هذا العالم أو ذاك في المدينة التي ترحل إليها، ومن هؤلاء النساء اللواتي رحلن في طلب علوم القرآن وقراءاته: ابنة فائز القرطبية، التي "رحلت إلى دانية للقاء أبي عمرو المقرئ، فألفته مريضا من قرحة كانت سبب منيته، فحضرت جنازته، ثم سألت عن أصحابه، فذُكِرَ لها أبو داوود بن نجاح، فلحقت به بعد وصوله إلى بلنسية، فتلَتْ عليه القرآن بالسبع في آخر أربع وأربعين وأربعمائة"[١٧] ومن هذه الترجمة نجد حرص هذه العالمة القارئة على معرفة القراءات القرآنيّة وإتقانها من المقرئين المشهورين، وهو أبو عمر الداني شيخ القراء في الأندلس أو ومن تلامذته المشهورين، فلم يقتصر طلب القراءات على الرجال، بل كانت المرأة الأندلسيّة تجاريه في تعلمها، لتعلم النساء هذه القراءات .

وقد تجاوزت المرأة الأندلسيّة حدود الأندلس في رحلتها في طلب العلم، فارتحلت إلى المشرق، فسافرت مع أحد محارمها: أبيها أو زوجها أو أخيها أو غيرهم للحج مستفيدة من هذه الرحلة الدينية لتتلقى العلم عن هذا العالم أو ذاك.وقد تكون رحلتها علمية بحتة في غير موسم الحج، ومن هؤلاء فاطمة بنت سعد الخير التي خرجت في رحلة علمية إلى المشرق مع والدها، وأخذت العلم عن علماء في القاهرة وبلاد الشام ومكة والمدينة، وأخذت منهم الإجازات العلمية[١٨].

ومنهن أيضا: ورقاء بنت ينتان: وهي من مدينة طليطلة، سكنت مدينة فاس، كانت أديبة شاعرة صالحة حافظة للقرآن بارعة الخطّ، شرقت وحجت وتوفيت بعد الأربعين وخمسمائة."[١٩]وهذه

---

[١٦]) الذيل والتكملة ج٥ السفر ٨، ص ٤١٠-٤١١.

[١٧]) الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصـــلة، المجلـــد الخامس، السفر الثامن، ص٤٢٦.

[١٨]) انظر،ترجمتها في: التكملة ج٤ ص٢٦٢ ترجمة رقم ٧٣٠ ونفح الطيب ج٣ ص٣٨٧.

[١٩]) الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصـــلة، المجلـــد الخامس، السفر الثـــامن، ص ٤٢٥-٤٢٦، وانظـــر كذلك: التكملة ج٤ ص٢٥٦، ترجمة رقم ٧١٤.

نموذج للمرأة التي ارتحلت في طلب العلوم القرآنية وإتقان الخطّ لتنسخ المصحف الشريف، وتعرف القراءات القرآنيّة، وتحصل على الإجازات العلمية في هذه العلوم من العلماء المشهورين من داخل الأندلس وخارجها.

ومنهن أيضا: نُضار(بضم النون) بنت محمد بن يوسف، وهي ابنة الشيخ العلامة أثير الدين أبي حيان، وقد توجهت إلى المشرق لأداء فريضة الحج وسمعت القراءات القرآنيّة...[٢٠]

ووصلت المرأة الأندلسيّة إلى مرحلة التدريس، وعقدِ حلقات العلم ليست المقتصرة على النساء طالبات العلم بل نجد حلقات تعقد للرجال والنساء، والرجال يحضرون حلقة هذه العالمة من وراء ستار، فيأخذون العلم عنها[٢١] ومن هؤلاء النساء أم شريح بن محمد بن شريح المقرئ، وهي من مدينة إشبيلية، "أخذت عن زوجها أبي عبد الله بن شريح، وكانت تُقرِئ مَنْ خَلَفَ عليها خَلْف ستر بحرف نافع، وكان أبو بكر عياض بن بقيّ قد قرأ عليها في صغره؛ فكان يفخر بذلك ويذاكر به ابنها شريحا، ويقول: " قرأت على أبيك وأمك، فلي مزية على أصحابك ومَاتَّةٌ لا يمت بمثلها أحد إليك". فيقر له الشيخ، ويصدقه "[٢٢]. ونستنتج من هذه الترجمة حرص المرأة الأندلسيّة على إتقان القراءة القرآنيّة أو أكثر من قراءة، وأم شريح التي تحدثنا عنها أتقنت قراءة نافع، فعلمتها لغيرها من

[٢٠]) يقول عنها الصفدي في "أعيان العصر وأعوان النصر"وحدثت بشيء من مروياتها، وحضرت على الدمياطي، وسمعت على جماعة، وأجازها من الغرب أبو جعفر بن الزبير، وحفظت مقدمة في النحو. وعمل شيخنا أثير الدين والدها لما توفيت فيها كتابا سماه" النضار في المسلاة عن نضار". وكان والدها يثني عليها ثناء كثيرا. وكانت تكتب وتقرأ، وقال لي والدها: إنها خرجت جزء حديث لنفسها، وإنها تعرب جيدا. وأظنه قال لي: إنها تنظم الشعر. وكان يقول دائما: ليت أخاها حيان مثلها. وتوفيت - تعالى – في جمادى الآخرة سنة ثلاثين وسبع مئة، في حياة والدها، فوجد عليها وجدا عظيما، ولم يثبت، وطلع إلى السلطان وسأله أن يدفنها في بيته بالبرقية داخل القاهرة، فأذن له في ذلك، وانقطع عند قبرها ولازمه سنة. ومولدها في جمادى الآخرة سنة اثنتين وسبعمائة. ولما توفيت كنت بالرحبة فكتبت إلى والدها بقصيدة أولها: بكينا باللجين على نُضار فسيل الدمع في الخدين جاري فيا لله جارية تولت فنبكيها والصلة، الجواري انظر: ج٥ ص٥٢١

[٢١]) انظر: الحياة العلمية في الأندلس في عصر الموحدين، ص١٥١

[٢٢]) قال المصنف – عفا الله عنه–: ذكرها ابن الأبار عن ابن خير، هكذا غير منسوبة، وهي أخت أبي عبد الله أحمد بن محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن بن غلبون الخولاني بن الحصار؛ فهو خال شريح، فلعلها ابنة أبي عبد الله محمد والد أحمد هذا. ولم أبت بذلك لاحتمال أن تكون أخت أحمد المذكور لأمه من غير أبي عبد الله. فاجعل تحقيق ذلك من مباحثك. والله يطلع على الجلاء فيه"، الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، المجلد الخامس، السفر الثامن، ص٤٢٧، وانظر أيضا عن حياتها وسيرتها وأخبارها : التكملة، ج٤، ص٢٥٤، ترجمة رقم٧٠٨.

النساء الأندلسيّات وحتى الرجال، والعالم الذي ذكرنا يفتخر بأنه أحد تلاميذها وهي شيخة من شيخاته التي تتلمذ على يديها لا تقل شأنا من وجهة نظره عن العلماء الذكور. ويجدر الإشارة هنا إلى أن المرأة الأندلسيّة هذه لا تقل شأنا عن الرجال في هذه العلوم، فقد وثق الرجال بعلمها فاتخذها هذا هذا العالم شيخة له يحضر حلقات علمها ومجالسها ومن النساء اللواتي علّمْنَ القراءات أم العفاف نزهة بنت أبي الحسين سليمان اللخميّ وقد أخذ عنها طلاب العلم هذه القراءات القرآنية، وقد كانت تعلم هذه القراءات لأحفادها ،فقد تلا عليها حفيدها محمد بن أحمد بن يحيى بن أبي القاسم سيد الناس، فتلا عليها بالتسع: والسبع المشهورة، وقراءتي يعقوب وابن محيصن، ولازم جدته نحو ستة أعوام ونصف، وأباه نحو خمسة عشر عامًا[٢٣].

وكان تلامذة العلم يسألون والعالمة تجيب، وقد تكون هذه الأسئلة مكتوبة وتجيب عليها هذه العالمة أو تلك إجابات مكتوبة أيضا بخط يدها، كما كانت أم عمرو ابنة أبي مروان بن زهر تفعل في حلقتها الطبية[٢٤] وما ينطبق على حلقات هذه العلوم ينطبق على حلقات العلوم الدينية أيضا.

ومن هؤلاء العالمات : فاطمة بنت أبي القاسم عبد الرحمن بن محمد بن غالب الأنصاري الشراط، وهي من قرطبة، أم الفتح، تلت على أبيها القرآن بحرف نافع، ثم استظهرت عليه تنبيه مكي وشهاب القضاعي ومختصر الطليطلي، وقابلت معه صحيح مسلم والسير وتهذيب ابن هشام وكامل المبرد وأمالي القالي وغير ذلك، وسمعت من لفظه كثيرا وحفظت من شعره في الزهد، وتلت القرآن على أبوي عبد الله: الأندرشي الزاهد وابن المفضل المقرئ الكفيف. حدث عنها ابنها أبو القاسم بن الطيلسان تلا عليها القرآن بقراءة ورش، وقرأ عليها ما عرضت على أبيها من الكتب، وسمع منها غير شيء، وأجازت له بخطها، وقال: "أظن أبا مروان بن مسرة أجاز لها؛ فإنه الذي سماها ودعا لها، حملها إليه أبوها يوم ولادتها". وتوفيت سنة ثلاث عشرة وستمائة."[٢٥]وهذه المرأة ومن خلال ترجمتها نراها قد أتقنت أكثر من قراءة فهي تتقن قراءة نافع وقراءة ورش وتعلمتهما على أيدي القراء المشهورين.وعلمتها

[٢٣]) ابن عبد الملك المراكشي، الذيل والتكملـــة، الســـفر الخامس، القسم الثاني، ص:٦٥٤.

[٢٤]) انظـــر: (الـــذيل والتكملـــة الســـفر الثـــامن، ق٢،ص٤٨٢،٤٨٣٤٧٨، ٤٩٤

[٢٥]) الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصـــلة، المجلـــد الخامس، السفر الثامن، ص٤٢١-٤٢٢

لأبنائها وغيرهم من أفراد أسرتها.ولطلبة العلم الآخرين.

وهنا إشارة إلى إن المرأة الأندلسيّة كانت عالمة ومجيزة لأهل بيتها من الأبناء والبنات ولغيرهم من أقاربها وهكذا نجد أن المرأة الأندلسيّة قد كانت عالمة شيخة من شيخات العلم التي يؤتى إليها، لا تقل شأنا عن شيوخ العلم من الرجال، يوثق بعلمها وروايتها وقدرتها على استظهار التصانيف المشهورة في سائر العلوم وعلى رأسها علوم القران الكريم وقراءاته[٢٦].

كما نلاحظ أن المرأة الأندلسيّة قد كتبت الإجازات العلمية لتلامذة العلم وتعطيها مدونة مكتوبة لمن يطلبها. وهذا يعني ثقة العلماء مانحي الإجازات بهؤلاء النسوة ليقمن بتعليم هذه العلوم للناس جميعا.

وهكذا تطورت المرأة الأندلسيّة علميا وأتقنت سائر العلوم فصارت عالمة في مجالها بل نجد منهن من تميزت في أكثر من علم فقد حفلت كتب التراجم الأندلسيّة بذكر ترجمات لنساء أندلسيات فقيهات وقارئات ونحويات وعروضيات وكن أيضا كاتبات وخطاطات وشاعرات وأديبات.

وهناك ما يشير إلى كثرة النساء القارئات والعالمات والكاتبات والناسخات للقرآن الكريم، فقد ذكر إن في الأندلس ما يزيد عن ستين إلف امرأة من الحافظات للقرآن الكريم ومعلماته، وكانت البهاء بنت الأمير عبد الرحمن بن الحكم بن هشام بن عبد الرحمن بن معاوية" خيرة زاهدة عابدة متبتلة شديدة الرغبة في الخير، وكانت تكتب المصاحف وتحبسها، وإليها ينسب المسجد الذي بربض الرصافة"[٢٧]. وتحبسها تعني أنها تجعلها وقفا في سبيل الله ليقرأ فيها المسلمون. فتنال الأجر من الله.

وقد تبوأت المرأة الأندلسيّة في مجال تعليم علوم القرآن وقراءاته مكانة متميزة معلمة وعالمة في القصور عند الملوك والأمراء تعلم الأبناء والبنات هذه العلوم، وتنتقل من قصر إلى قصر بين المدن الأندلسيّة ومدن المغرب وتونس، ومن هؤلاء النساء أم العلاء سيدة بنت عبد الغني بن علي بن عثمان العبدري الغرناطية، تلقت العلم، وخاصة علوم القرآن الكريم، ثم علمته لبنتيها اللتين حلتا محلها في التعليم عند مرضها، عاشت يتيمة صغيرة بعد وفاة والدها فنشأت بمرسية وتعلمت القرآن وبرعت وجاد خطها، وعلمت في

[٢٦]) أشرنا في هذه الدراسة عند الحديث عن أم شريح التي كانت تقرئ القرآن بحرف نافع على طلبة العلم ومنهم أبو بكر عياض بن بقي الذي كان يفتخر بشيخته هذه التي تعلم منها القراءات القرآنيّة وهو صغير .

[٢٧]) الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، المجلد الخامس، السفر الثامن، ص٤١٣٠٤١٤، وانظر كذلك: التكملة ج٤ ص٢٤٣، ترجمة رقم ٦٧٥.

ديار الملوك عمرها كله، إلى أن أقعدتها عن ذلك زمانة ألزمتها منزلها نيفا على ثلاثة أعوام، فخلفها على التعليم بنتان لها، وكانت قد لقيت أبا زكرياء الدمشقي بغرناطة، وبها علمت القرآن أول ما نزعت لذلك[٢٨]، ثم انتقلت إلى فاس، ثم عادت إلى غرناطة ولحقت بتونس؛ فعلمت بقصر ملكها، ونسخت "إحياء علوم الدين" من أصله. ولم تزل قائمة على التلاوة محافظة على الأدعية والأذكار والسعي في الخيرات والتوفر على أعمال البر والإيثار بما تملك، وفك الرقاب من الأسر وغير ذلك من أعمال البر المذكورة، وتوفيت على تلك الحال عصر يوم الثلاثاء لخمس خلون من محرم سبع وأربعين وستمائة، ودفنت لصلاة الظهر من يوم الأربعاء بعده بمقربة من المصلى خارج تونس"[٢٩].

وفي هذه الترجمة بالإضافة إلى ما ذكر نجد حرص المرأة الأندلسيّة العالمة على تعليم أفراد أسرتها علوم القرآن وقراءاته لنتقل العلم من الآباء والأمهات إلى الأبناء والبنات ولذلك نجد بنات هذه العالمة التي اشرنا إليها يقمن بدورها عند مرضها وبعد وفاتها.

وكانت فاطمة بنت أبي علي حسين بن محمد بن فيره بن حيون الصدفي بن سكرة: وهي من مدينة مرسية، من الحافظات للقرآن الكريم وقد تركها أبوها حين خرج غازيا إلى كتندة واستشهد بها، قد قاربت الفطام، وأوصى أن لا يجمع عليها فقده وفطامها؛ فنشأت نشأة صالحة وعاشت حياة الزهد، فحفظت القرآن الكريم وقامت على خدمته وتذكر كثيرا من الحديث في الأدعية وغيرها، كانت حسنة الخطّ ملتزمة بمطالعة الكتب، وتزوجها صاحب الصلاة بمرسية أبو محمد عبد الله بن موسى بن برطلة فولدت له عبد الرحمن فأنجب، وولدت له غيره، وتوفيت بعد السبعين وخمسمائة، وقد نيفت على الثمانين"[٣٠].

ونجد أن عائشة بنت أحمد بن محمد بن قادم القرطبية كانت مهتمة بالقرآن الكريم فكانت حسنة الخطّ ولهذا نجدها تكتب المصاحف[٣١]،

---

[٢٨]) صاحب التكملة يقول: "وبها علمت القران أول ما ترشحت لذلك " وهي إشارة إلى أنها وصلت إلى مرحلة من العلم يجعلها قادرة على تعليم القران الكريم وهو كتاب الله.انظر: التكملة ج٤ ص٢٦٥، ترجمة رقم ٧٣٧.

[٢٩]) الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، المجلد الخامس، السفر الثامن، ص٤١٨، وانظر: التكملة ج٤ص٢٦٥ترجمة ٧٣٧

[٣٠]) الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، المجلد الخامس، السفر الثامن، ص٤٢١، وانظر: التكملة، ج٤، ص٢٦٢، ترجمة رقم، ٧٣٨)

[٣١]) انظر ترجمتها في: الصلة: لابن بشكوال، أبو القاسم خلف بن عبدالملك (ت٥٧٨هـ)، تحقيق: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري القاهرة، دار الكتاب اللبناني، بيروت،ج٢ ص١٣١-١٣٢

وتعتني بنسخ القرآن الكريم ليكون متوفرا بين أيدي الناس جميعا في المساجد ودور العلم والبيوت تهبه لهم دون أجر أو مكسب مادي.يقول عنها ابن بشكوال: "إنه لم يكن في زمانها من حرائر الأندلس من يعادلها علما وفهما وأدبا وعزّا، كانت تمدح ملوك الأندلس ،حسنة الخط،تكتب المصاحف والدفاتر وتجمع الكتب وتعنى بالعلم ولها خزانة علم كبيرة"[٣٢]

ويتضح مما ورد في هذه الترجمة حرص المرأة الأندلسيّة على حفظ القرآن الكريم وتحفيظه والاهتمام بقراءاته، وصرف جهدها ووقتها وعمرها كله للوقوف على خدمة كتاب الله نسخا وتعليما لقراءاته للنساء الأندلسيّات.

وكانت فاطمة بنت عتيق بن علي بن خلف الأموي بن قنترال المالقية، أيضا حافظة للكتاب كثيرة التلاوة له[٣٣].

ولم يقتصر اهتمام الأندلسيّات على حفظ القران الكريم فقط بل نجدهن قارئات مشهورات على القراءات السبع المشهورة وغيرها، وحرصن على سماع هذه القراءات من أبي عمرو الداني فذكر لنا الضبي في كتابه : بغية الملتمس القارئة (ريحانة) وهي من مدينة المرية وكانت تقرأ القرآن الكريم بقراءاته المشهورة السبع وغيرها وقرأت القرآن على أبي عمرو الداني حين كان في المرية، فأجازها، وكانت تقعد خلف ستر فتقرأ، ويشير لها بقضيب بيده إلى المواقف، فأكملت القراءات السبع عليه، وطالبته بالإجازة فامتنع، وقرأت عليه خارج السبع الروايات، فمنحها الإجازة.[٣٤] وفي هذه الترجمة نلحظ المستوى الذي وصلت إليه المرأة الأندلسيّة في القراءات السبع المشهورة والقراءات الأخرى غير المشهورة أيضا، وهو ما دفع كبير القراء في الأندلس أن يمنحها بعدما سمعها إجازة في القراءات حين وجدها تتقنها وتتقن غير المشهور منها. وهذا لا يتأتى إلا لمن صرف وقته وجهده لتعلمها.

ومن مظاهر التميز ومحبة العلم وخاصة حفظ القرآن الكريم وتحفيظه أن هؤلاء الحافظات كن يفتخرن بذلك ويرغبن بتعليمه للبنات والنساء في الأندلس فإذا ما صارت حافظة له كانت تضع على باب بيتها منديلا وهو إشارة للناس أن في

---

[٣٢]) ابن بشكوال، الصلة، ج٢، ص١٣٢

[٣٣]) انظر: الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، المجلد الخامس، السفر الثامن، ص٤٢٣

[٣٤]) انظر أخبارها في: الضبي، أحمد بن يحيى بن أحمد بن عميرة (ت٥٩٩ه): بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس،تحقيق: د. روحية عبد الرحمن السويفي،منشورات : محمد علي بيضون،دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط١٤١٧،١ه/١٩٩٥م، ترجمة رقم ١٥٩٥، ص٤٧٩. وانظر خبرها مع أبي عمرو الداني في المصدر نفسه، في ترجمته له رقم ١١٨٦، ص٣٦١.

هذا البيت حافظة للقرآن الكريم وهذا من جانب آخر يؤكد حرص العائلات الأندلسيّة على تعليم البنات القرآن الكريم وهذا يوفر على العائلات عناء البحث عن حافظة معلمة للقران الكريم، ولم يقتصر الأمر على الحافظات للقرآن الكريم بل نجد من العالمات من كانت تطوف مدينتها لتعقد حلقات العلم للأبناء والفتيات لتحفيظهن القرآن الكريم وتفسيره وتعليمهن العلوم اللغوية وأشعار العرب وغيرها وخير من يمثل ذلك في الأندلس رشيدة الواعظة التي كانت تتجول في بلاد الأندلس تعظ النساء وتذكرهنّ، وكان لها صيت واتصاف بالخير كما يقول ابن الأبار[٣٥]

كما كان من النساء الأندلسيّات من تعلمن الخطّ وتميزن به وعلَّمْنَ الخطّ لغيرهن كما ذكر ابن حزم الأندلسي، وقد برعن فيه وأجدْنه، ولهذا نجد الكثير من النساء الخطّاطات في الأندلس، يقمن بكتابة المصاحف بخط جميل، ويقمن بنسخها؛ لتكون متوفرة بأيدي الناس، وغايتهن من هذا العمل نشر كتاب الله وخدمة دينهن والتقرب إلى الله بهذا العمل العظيم، وهو يحتاج إلى وقت طويل وجهد كبير يلزمه الدقة في الكتابة والضبط والخطّ الواضح الأنيق، ولا يتم ذلك إلا بجهد كبير تقوم به المرأة لتعلّم الخطّ وإتقانه؛ لأنها ستكتب القرآن الكريم بدقة ووضوح وجمال.

الخلاصـــة:

وقفت هذه الدراسة على دور المرأة الأندلسيّة في تعلم علوم القرآن الكريم والقراءات القرآنيّة السبع المشهورة وغير المشهورة وتعليمها لطالبات العلم وطلابه، كذلك الدرجة التي وصلت إليها المرأة الأندلسيّة في خدمة كتاب الله من خلال تعلمها لفنون الخطّ وإتقانه لتنسخ القرآن الكريم طمعا في الأجر والثواب من الله.

وقد رأينا الجهود التي بذلتها المرأة الأندلسيّة في تلقيها لهذه العلوم الدينية تحديدا وهو محور الدراسة وأخذها هذه العلوم من العلماء المشهورين في حلقات العلم في المساجد وبيوت العلماء والعالمات بالطرق التي اشرنا إليها.

ورأينا المرأة الأندلسيّة ترتحل في سبيل طلب العلم رحلة داخلية من مدينة أندلسية إلى مدينة أندلسية أخرى وخاصة لسماع القراءات القرآنيّة وكذلك قامت برحلات خارجية إلى المغرب وتونس ثم المشرق مستغلة رحلة الحج ترافق احد محارمها لأداء هذه الفريضة ثم تستغل الفرصة لتلقي علوم القران عن هؤلاء العلماء في كل مدينة ترحل إليها وكانت حريصة في لقائها بالعلماء على أن تأخذ منهم الإجازات العلمية

[٣٥]) انظر: التكملة لكتاب الصلة، ج٤ص٢٥٩، ترجمـــة رقم ٧١٩

لتنشر ما أخذت لتلاميذ العلم وتلميذاته في الأندلس.

ورأينا النساء الأندلسيّات يقدمن خدمة عظيمة لديننا الحنيف من خلال نسخ القران الكريم بخط جميل، حرصن على تعلمه؛ ليكون بأيدي الناس في بيوتهم وفي بيوت الله وكل ذلك طلبا للأجر والثواب.

المصادر والمراجع

١. ابن الأبار، أبو عبدالله محمد بن عبدالله بن أبي بكر القضاعي البلنسي ،(ت٦٥٨هـ): التكملة لكتاب الصلة، تحقيق: عبدالسلام الهراس، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ١٩٩٥م.

٢. الصلة: لابن بشكوال، أبو القاسم خلف بن عبد الملك(ت٥٧٨هـ)، تحقيق: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري القاهرة، دار الكتاب اللبناني، بيروت.(د ـ ت)

٣. د. بعيون، سهى: إسهام العلماء المسلمين في العلوم في الأندلس في عصر الطوائف، ص٤٥٣، ط١، بيروت، دار المعرفة، ١٤٢٩ه/٢٠٠٨م

٤. الحميدي، أبو محمد بن أبي نصر فتوح بن عبدالله الأزدي(ت٤٨٨هـ)،جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس، تحقيق: د.روحية عبدالرحمن السويفي، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية ، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٩٧م.

٥. ابن حزم ، علي بن أحمد،(ت٤٥٦ه): طوق الحمامة في الألفة والألاف، تحقيق: د. إحسان عباس، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٩٣م.

٦. دندش، عصمت: الأندلس في نهاية المرابطين ومستهل الموحدين، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط٣، ١٩٨٨

٧. ابن الزبير، أبو جعفر العاصمي (ت٧٠٨هـ)، صلة الصلة، تحقيق: عبد السلام الهراس، وسعيد أعراب، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية،١٤١٦هـ/١٩٩٥م.

٨. الصفدي، صلاح الدين،خليل بن أيبك (ت٧٦٤هـ) "أعيان العصر وأعوان النصر، حققه: د.علي أبو زيد، د. نبيل أبو عمشه، د. محمد موعد، د.محمود سالم محمد، قدم له: د.مازن عبدالقادر المبارك، دار الفكر، دمشق، ط١، ١٤١٨ه/١٩٩٨م

٩. الضبي، أحمد بن يحيى بن أحمد بن عميرة (ت٥٩٩هـ): بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس، تحقيق: د. روحية عبد الرحمن السويفي، منشورات، محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط ١،١٤١٧ه/١٩٩٥م.

١٠. ابن عبد الملك الأنصاري الأوسي المراكشي، أبو عبد الله محمد بن محمد (ت٧٠٣هـ): الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، المجلد الخامس،

السفر الثامن، حققه وعلق عليه: د. إحسان عباس، د. محمد بن شريفة، د. بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، تونس، الطبعة الأولى، ٢٠١٢م،

١١. د. العريني، يوسف علي بن إبراهيم ، الحياة العلمية في الأندلس في عصر الموحدين، مطبوعات مكتبة الملك عبد العزيز العامة،١٤١٦هـ/١٩٩٥م.

١٢. ابن الفرضي، أبو الوليد عبدالله بن محمد(٤٠٢هـ)، تاريخ علماء الأندلس، القاهرة، ١٩٦٦م.

١٣. المقري، أحمد بن محمد التلمساني (ت١٠٤١هـ)، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب، حققه ووضع فهارسه: أ.محمد البقاعي، دار الفكر، بيروت، ط ١، ١٩٨٦م.

١٤. د. مكي، الطاهر أحمد: دراسات أندلسية في الأدب والتاريخ والفلسفة، دار المعارف، القاهرة، ط٣، ١٩٨٣م.

١٥. ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم (ت ٧١١هـ) لسان العرب، دار صادر، بيروت، (د.ت)

١٦. د. هلال، جودة ومحمد محمود صبح: قرطبة في التاريخ الإسلامي، المؤسسة المصرية العامة، القاهرة،١٩٦٢م.

١٧. د. هيكل، أحمد: الأدب الأندلسي من الفتح حتى سقوط الخلافة، دار المعارف، القاهرة، ط١٢ ،١٩٨٨م.